

بقلم
حازم بو عبدالله

مذكرات مراقب

مكتبة العبيكان

ح مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

أبو عبدالله، عبد المحسن

مذكرات مرآهق. - الرياض.

٤٨ ص؛ ٢١ x ١٤ سم

ردمك: ٣-٩٥٦-٢٠-٩٩٦٠

١- التوبة (الإسلام) - قصص ٢- الوعظ والإرشاد أ- العنوان

٢٢/١٢٥٢

٣١٢ ديوي

رقم الإيداع: ٢٢/١٢٥٢

ردمك: ٣-٩٥٦-٢٠-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب: ٦٢٨٠٧ الرمز: ١١٥٩٥

هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤، فاكس: ٤٦٥٠١٢٩



obeikandi.com

الإهداء

إلى أترابي الأعزاء

مع رجائي لهم بالهداية والتوفيق ، ، ،

obeikandi.com

التيه

قفزت من سريري مرعوباً فقد قاربت الساعة السابعة والربع،
والمفروض أن أكون في المدرسة على الأكثر الساعة السابعة
والنصف وإلا فالويل لي كما حذر المدير وأنذر.

تمنيت أن يتحول ذلك اليوم من أي يوم كان من أيام الأسبوع
إلى الخميس أو الجمعة، تريثت قليلاً وتلفت حولي، إخوتي
لا زالوا في أسرّتهم، الوالدة عفا الله عنها لم تزعجنا بندائها،
الذي أكرهه رغم حنوه وعذوبته، فهي يومياً تقف على باب
غرفتنا وتنادي: يا محمد، يا كاظم، يا عمار، قوموا صلّوا
قبل أن تطلع الشمس.

قلت في نفسي: لا بد أن الوالدة - عافاها الله - راحت عليها نومة
وحصل ما حصل.

على كلٍّ، ما دمت قد صحوت فلا بأس أن أزور الحمام،
وأؤدي الصلاة، وأستعد للذهاب إلى المدرسة إلى أن يستجيب
الله دعائي (إنه سميع الدعاء).

كان مروري على دولاب ملابسني حيث تتوسط صفقاته الثلاث مرانيا ضخمة تمتد من أعلى إلى أسفل.

أعجبني غاية الإعجاب ذلك الرجل الذي انعكست صورته على المرأة، فقد رأيت فتى شاباً وسيماً، يفيض حيوية ونشاطاً، مجدول الساعدين، مفتول العضلات، ناهد الصدر، عريض المنكبين، غليظ الساقين، ضامر البطن.

رأيت كل ذلك ودرت حول نفسي، دورة ودورتين وثلاث دورات، استعرضت جسدي كما يستعرض أبطال كمال الأجسام عضلاتهم، مرة ذات اليمين، ومرة ذات الشمال، مرة متمدداً وأخرى منحنياً، تارة إلى الأمام، وتارة إلى الخلف.

فعلت كل ذلك وقلت في نفسي: كم كنت غافلاً.. لا، لا، لم أكن غافلاً، بل كنت متواضعاً منذ أن بلغت الثانية عشر أو الثالثة عشر حين حسبت نفسي لم أزل طفلاً، ولكن منذ الآن وصاعداً، وقد دخلت الرابعة عشر منذ يومين، فأنا لست رجلاً فحسب وإنما أنا سيد الرجال.

منذ الآن فصاعداً سوف أكون أنا الأمر النهائي في هذا البيت، سوف أكل برجر، سوف أشرب ما يحلو لي، سوف أدخن إلى ما لا نهاية، وسواء ذهبت إلى المدرسة أم لم أذهب، ذاكرت أو لم أذاكر فذلك ليس من شغل أحد.

ذهبت إلى الحمام، قضيت الحاجة وتوضأت وبعد أن أدت الصلاة، أخذتني غفوة وأنا لا زلت في مصلاي، وفي الأثناء مرت عليّ الوالدة، جزاها الله خيراً، وأنا أتقلص وأتمدد، أنتفض وأرتجف وأتمتم قائلاً: اسمح لي يا سيادة المدير، اعفُ عني فإنك عفو كريم، لن أعودها ثانية، هذه آخر مرة، أرجوك أتوسل إليك....

أيقظتني أمي برفق وحنان، وقالت: هوّن عليك يا ولدي، فالיום هو يوم الخميس الأنيس.

أغمضت عيني وقلت: الحمد لله الذي أبدله من السبت إلى الخميس.



obeikandi.com

الملابس

كان الأحرى بي أن أشكر أمي، وقبلها كان يتوجب عليّ أن أشكر ربي، ولكنه غرور الشباب وتيه النفس وتغلب الجهل وقلة الخبرة.

كانت أمي رغم أن مستوى تعليمها لا يتعدى المرحلة المتوسطة، وكذلك كان مستوى تعليم أغلب أمهات أبناء جيلي، ولكنهن كن على مستوى عالٍ من الأخلاق والحكمة والفضيلة، ولو أننا معاشر الشباب (لم تأخذنا العزة بالإثم، والادّعاء بالباطل) بأننا أعلم منهن وأفهم منهن، لو أننا استمعنا لنصائحهن وتوجيهاتهن لأصبحنا جيلاً واعياً مثقفاً محترماً، ولكنه الجهل والغرور، قاتل الله الجهل والغرور.

كانت أمي - جزاها الله خير الجزاء - طالما نصحتني بقولها: يا ولدي إن الملابس تدل على اللابس، فالحيوان هو الذي يلبس ملابس الحيوانات، أما الشخص المحترم فلا يقبل أن ينزل من شخصيته، وأن ينظر إليه الآخرون نظرة ازدراء.

كنت لا أعير هذه الكلمات أدنى اهتمام، كنت أعتبرها كلمات جوفاء، تخرج من جوف امرأة غارقة في الجهل والتخلف والرجعية، ولا تفقه من أمور الحياة والتقدم شيئاً يذكر.

أين هي من (الشارلستون)؟ أين هي من (الجينز)؟ أين هي من البناطلين المشرشرة؟ أم أين هي من القمصان المتناثرة، ذات الصدور المفتوحة، والخصور المنكوفة؟ أين هي من اللوحات التي تنشر الدعاية في شوارعنا مجاناً؟ أين هي من صور مايكل وماجدة وتايسون وديانا؟ أين هي من كل ذلك وأكثر من ذلك.

كان ذلك ولسوء حظي في ذروة هيجاني، وبغروري بما أحمله من جهل في أعماقي، عندما ظهر (زي الثعلب) وهو بذلة كاملة تلبس من أسفل إلى أعلى حيث تنتهي بأذنين طويلتين.

أعجبتني البذلة بخطوطها الفاقعة، وألوانها الزاهية، وانسيابيتها البديعة، وعلى كل فهي من الملابس الشبابية التي انتشرت في وقت تيهنا وضياعنا.

لم أكرث بنصح الناصحين، ولا بوعظ الواعظين، وكانوا عندي -رغم ورعهم وإخلاصهم وسعة اطلاعهم وحتى أمي العزيزة- من المتخلفين الرجعيين، لم أبق تقديماً فاهماً إلا أنا ومن هم على شاكليتي.

وضعت البدلة على جسدي النحيل ، وصرت أطوف بها في الشوارع مثل حمار انقطع رسنه ، استوقفني الدكتور أنور وكنت أجله وأحترمه وبعد أن حيّ ورحّب قال: ما هذا الذي تلبسه؟ قلت بافتخار: هذه آخر الموديلات الشبابية.

قال: هل تدري ما كتب عليها؟

قلت وأنا أكاد أن أتشقق وألوي لساني كأني أمريكي من ولاية متشغن: Very Clever PIG.

قال: وماذا تعني؟

قلت والغطرسة تملأ أعطاي: أنت دكتور وكلك نظر.

قال والأسى في عينيه: يا عزيزي لقد قشمروك بكلمة (PIG) فبدلاً من أن تكون (رجل ذكي جداً) أصبحت (خنزير ذكي جداً).

يا للجهل والغرور حتى أخواتي الصغار يعرفون أن:

كلمة (PIG) تعني خنزيراً.

وكلمة (BIG) تعني كبيراً.



obeikandi.com

التدخين

هكذا نحن أبناء آدم وحواء لا نتعظ بمن سبقنا ولا نبالي بمن يأتي بعدنا، فتحن نكرر الأخطاء جيلاً بعد جيل، ولا نتلافى الخطأ الذي ارتكبه الجيل الذي سبقنا، وكل ذلك وهم في الخلود وحبنا في أن نكون أناساً متميزين.

وهكذا أنا وقصتي مع التدخين، فرغم أن أبي قد نصحنا من واقع خبرة وبعد معاناة مع التدخين، إلا أنني وتحت تأثير وهم الرجولة والاستقلالية ارتكبت خطأ كلفني فادحاً.

ففي إحدى جلسات البطالين، عرض عليّ أحد شياطين الإنس سيجارة، فقلت له: إنني لا أدخن.

فقال: إذن فمن الآن فدخن.

فقلت له: ولكنني لم أدخن من قبل قط.

اعتدل في جلسته ورقق نبرات صوته وقال: وكأنه ناصح أمين: نعم، نعم إنك كنت طفلاً من قبل، أما الآن فإنك ما شاء الله تبارك الله، رجل كامل، والتدخين من علامات الرجولة، خذ يا رجل خذ.

وأخذت السيجارة الأولى، كم كانت لذيدة ومنعشة، لقد أحسست بدوار، وبدا وكأنني على وشك أن أتقيأ، ولكن كل ذلك يهون في سبيل زرقاء العيون.

وفي اليوم التالي طلبت من أحد الأخوة المدخنين السيجارة الثانية، وفي الحقيقة لقد كان مخلصاً معي ونصحني بالألا أتورط في هذا الطريق، ورجاني ألا أدخن مادمت على بر الأمان فإن الدخول سهل وجميل ولكن الخروج صعب ومرير.

أخذتني العزة بالإثم وقلت له: هات سيجارة ولا عليك، ودعنا من هذه الخطب والمواعظ. قال: هذا هو نفس الكلام الذي قلته لمن نصحني قبل سنتين.

طلبت السيجارة الثانية والثالثة والرابعة، ثم اشتريت لي علبة خاصة بي، ثم اشتريت الثانية والثالثة حتى انتهى ما وفرته من نقود، بعد ذلك صرت أستقطع جزءاً من مصروفي، وبعد ذلك صار مصروفي كله يذهب على الدخان بدل الأكل والشرب. كلما ازدادت النار اشتعالاً كلما احتاجت إلى وقود أكثر، وكلما كان الوقود أكثر كان صرف النقود أكثر.

لم تتحمل ميزانيتي كل تلك الأعباء ، وأنا بصفتي دخيلاً جديداً على الكار فأنا مثل المحرقة ، أحرقت كل ما أجده في طريقي حتى أبو بس وأبو جمل أو حتى اللف^(١) ، بل وصل بي الحال إلى تدخين العصاعص.

استمررت على هذا الوضع عدة شهور إلى أن سقطت مغمى عليّ، نقلت إلى المستشفى وشخصت حالتي: التهاب في الحنجرة، تراكم القطران في الشعب الهوائية مما أدى إلى انسدادها، انسداد في الشرايين، ارتفاع نسبة النيكوتين في الدم.

استدعى الطبيب والدي وسأله: هل يعمل عندكم هندي؟

فقال: لا. ولكن هناك هندي يعمل مع مقاول البلدية يأتي إلى البيت لينظف الحديقة.

فقال الطبيب: الآن عرفت مصدر الدخان الرديء الذي يدخنه ابنك!



(١) أبو بس وأبو جمل واللف أنواع قديمة جداً من السجائر.

obeikandi.com

الماطور

إن ارتباطي بوسائل النقل غريب عجيب، فبعد أيام قليلة من ولادتي عيناى تدور هنا وهناك وتلاحق أي شيء يتحرك، وخاصة ذلك الملاك الذي كنت أشعر أن حياتي متوقفة على حياته.

بعد ذلك بعدة أشهر أجلس على كرسي دوار متحرك، فكان مصدر سعادتي ومصدر شقائي، مصدر سعادتي إذ كنت أريد أن أسرح وأمرح، ومصدر شقائي إذا استخدم كسجن لي لا أزول عنه ولا أحول، فيا ترى هل هذا إرهاص لما سوف أكون عليه في المستقبل، إذ كان كل همي هو الكرسي الدوار؟!

وقبل أن أكمل السنة اتخذت عصا أتوكأ عليها لكي تسند جسمي الضعيف، ولكي تعدل شكله المعوج، وليتها عدلت اعوجاج نفسي أيضاً. على كل حال لازمتني تلك العصا فترة من الزمن، كنا نتبادل المواقع، فكنت أتخذها بعض الأحيان حماراً أركب عليه، وكانت هي أحيانى تتخذني حماراً تضربه.

بعد ذلك حصلت على دراجة أم ثلاث عجلات، كنت أوصل بها أختي من غرفة إلى غرفة، بعد ذلك تطورت وحصلت على دراجة عادية كنت أجوب بها الشوارع.

عندما نجحت من المرحلة المتوسطة كانت جائزتي دباب (دراجة نارية)، وذلك بعد رسوب متكرر وبتقدير جيد، فتخيلوا ماذا ستكون جائزتي عندما أتعدى الثانوية؟!

على كل استلمت الماطور السوزوكي SJC350 وصرت أصول به وأجول، لا أرى جماعة إلا فرقتها، ولا امرأة إلا أرعبتها، ولا فتاة إلا استعرضت لها، وكنت أردد في نفسي قول الحجاج بن يوسف الثقفي مع تصرف بسيط:

أنا ابن جلى وطلاع الثنايا
متى أصعد الدباب تعرفوني

كان يطربني زثيره مثل الأسد، وخواره مثل الثور، وتشقره مثل الكلب، وجموحه مثل الحصان، ونفوره مثل الضبع، فكنت تلمحه في سرعة مذهلة مقبلاً، وإذا به ينعطف في سرعة مثلها مدبراً، فكأنه كما قال الشاعر الجاهلي:

مكّرٍ مفرٍ مقبلٍ مدبرٍ معاً

كجلمود صخرٍ حطه السيل من علٍ

أصابني غرور أي غرور ، وقسمت الناس إلى قسمين: من هم أعلى مني في الحقيقة وبالفعل ، فهؤلاء مغرورون متكبرون ، ومن هم أدنى مني أو هكذا اعتقدت فهم رجعيون متخلفون. وبناءً على هذا التقسيم كنت لا أغير الفريقين اهتماماً ، لا أصغي لنصائحهم ، ولا ألتفت لتعاليمهم وإرشاداتهم.

حتى جاء ذلك اليوم المشؤوم ، حيث كنت رجلاً في الأرض ورجلاً في السماء ، أو بالأصح كَفَرًا في الأرض وكَفَرًا في السماء ، وإذا بحصيلة^(١) تنقل ذلك الماطور إلى الفضاء ، وتقلني كتلة من الشحم واللحم إلى المستشفى.



(١) الحصيلة: الحصاة الصغيرة.

obeikandi.com

الشمة

يقول المثل العربي «الضربة التي لا تقتلني تقويني»، فقد خرجت من المستشفى وكأني (دون كيشوت)، وربما كان للحادث وللمعاملة التي لقيتها من الأهل والأقارب والأصدقاء أثر في تغيير أسلوب طريق الغي الذي كنت أحسبه طريق العبقرية والتطور إلى أسلوب أكثر دهاءً ومكراً.

لقد عاملني الأهل - والحق يقال - معاملة لا أستحقها، فبينما كانوا يعاملونني بالحب والحنان، وكانوا ينظرون إليّ على أنني مريض يجب مساعدته حتى يخرج من الأزمة التي هو فيها، كنت أنا أسلك طريقاً آخر.

كان بعض من أحسبهم أصدقاء يأتون إلى زيارتي في الفترة الصباحية، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أنهم أصدقاء سوء؛ لأنه من المفترض أن يكونوا في ذلك الوقت في مدارسهم أو أعمالهم، لا أن يتسكعوا في الشوارع أو يتعللوا بزيارة مثلي وأمثالي من المقعدين ويقضون الساعات الطوال في سؤالف

سخيفة لا تسمن ولا تغني من جوع، كانوا يتناولون سيرة الفرد المحترم ويشرشحونه من رأسه إلى أخمص قدميه ثم يتناولون غيره وهكذا.

ذات يوم لاحظت شيئاً غريباً، حيث دخل علي أحدهم وفي يده علبة بيبسي، فقلت له: إن حق الضيافة علينا، فقال: لا عليك «بين الأحباب تسقط الآداب»، وثانياً لا نريد أن نزاحمك وأنت مريض، قلت: جزاك الله خيراً، هذا من طيبك.

الغريب أن تلك العلبة لم تتفذ طيلة الساعتين والنصف التي قضاهما معي، وكنت بين الفينة والأخرى ألاحظ أنه يأخذ رشفة أو بالأحرى شمة ويرد العلبة مكانها، ولما لم أستطع الاحتمال قلت: له: لا بد وأن عندك سراً في هذه العلبة، قال: لا سر ولا حاجة. قلت: إذن لمَ لم تتفذ بعد كل هذه المدة الطويلة، ولم حرصك الزائد عليها، لا بد أن هناك سراً.

أنكر في البداية ولكن حين ألححت عليه قال: نعم هناك سر وسوف أطلعك عليه، قرب العلبة من أنفي وقال: خذ نفساً، أخذت نفساً وأبعدت رأسي بسرعة، لقد كانت رائحة قوية نفاذة، تجبر العين على الدمع، وتصيب الرأس بالدوار.

أعجبتني اللعبة فطلبت منه أن يعلمني ماهية تلك المادة! وأين يمكنني الحصول عليها، قال: لا عليك، أنا سأتكفل بالأمر.

مذكرات مراهق

فقلت له: إذا أنت أعطيتني سمكة فأنت تطعمني لمرة واحدة،
أما إذا علمتني كيف أصطاد السمك فأنت تطعمني العمر
كله.

تعلمت الصناعة وأتقنتها، بل وتفوقت على من علمني إياها،
وأضفت إليها مواد مدمرة أخرى، وهذه بداية النفق المظلم الذي
ينتهي بالإنسان إما إلى السجن أو إلى جهنم والعياذ بالله.

يا إلهي ألهدنا الحد يضحك علينا الشيطان !!



obeikandi.com

المقهى

بعد شهرين ونصف الشهر من الاعتكاف في البيت بعد حادث الدباب الشهير خرجت إلى الشارع وأنا على عكازتين، وتلقاني أصدقاء السوء بالمقابل والنكات، فمن قائل: جاء الأمور الدجال، ومن قائل: جاء أبو أربع - يقصد حماراً رفع الله قدركم - إلى ثالث يخبئ إحدى العكازتين لكي أتشقلب كأنني طير كسر أحد جناحيه.

وبدلاً من أن أتعض بما حصل لي وأخشى الله وأتقيه، وأتقرب إلى الله بعد أن رأيت الموت بأم عيني، وذلك بأن أؤدي ما أوجبه ربي سبحانه وتعالى عليّ من صلاة وصيام واحترام للآخرين، والابتعاد عما حرّمه عليّ من مسكرات ومخدرات وفواحش وإيذاء الآخرين.

بدلاً من ذلك سلكت طريقاً معاكساً وكانت البداية من الشارع حيث انضممت إلى رفقاء السوء، كنا نقضي معظم وقتنا في الشارع، كان أكلنا شوارعي حيث كنا نكتفي

بالسندويشات غير الصحية، وشربنا شوارعي حيث كنا نشرب المشروبات الغازية، سوافنا التافهة كانت تتم في الشارع، وكثيراً ما كنا نتشاجر ونتنايز بالألقاب ونطلق على بعضنا البعض الألفاظ الساقطة.

كان المكان المفضل لنا هو نقطة صعود الفتيات إلى الباص عند ذهابهن إلى المدرسة، ونزولهن منه عند العودة، وهذا ما يدل على خبث النية، وخراب السريرة، وإلا إذا كان لابد لنا من الشارع، لماذا ذلك المكان بالذات؟ لماذا نتعمد أن نضيف إلى هم البنات همأ؟

عندما يحل المساء وتترى ساعات الليل، يصبح البقاء في الشارع لا يساوي همه، ولأنني اعتقدت بأني أصبحت رجلاً فلا بد لي من مكان أقضي فيه السهرة. وأشار عليّ أحد الأصدقاء -الله يغربله- بأن المقهى مكاناً رائعاً لقضاء السهرة، وتبرع صديق ثانٍ -الله يرحمه- بأن يوصلني ليلياً إلى هناك.

وماذا كانت النتيجة! النتيجة هي أنني أدمنت الجراك، المعسل منه وغير المعسل، فكنت إذا حان وقت التعسيلة أصبح مثل الحمار الذي حان وقت عليفته.

هذا على الجانب العضوي، أما على الجانب المعنوي فقد أدمنت إضاعة وقتي، الذي أدركت فيما بعد أنه كان ثميناً، أدمنت

إضاعته في لعب الكيرم والدومينو والنرد ولعب الورقة، نعم لعب البلوت والكوت وأشياء أخرى يعرفها الكبار أمثال حضرتنا.

كنا نقضي الليالي الطوال في (فر واخبص)، والآن انخبص حالنا، كان يمكن لي أن أكون مدرساً بدل وضعي الحالي كمراسل، أنقل الأوراق من غرفة إلى غرفة، من المدير وإليه، وإذا كان هناك متسع من الوقت فلا بأس بتقديم الشاي لبعض المدرسين.

والحقيقة أنني أخجل من نفسي وأتحسر، وآسف على الأوقات التي أضعتها سدى، نعم لقد كانت في حينها حلوة ممتعة، ولكن كانت نتيجتها ندامة، (ولا خير في متعة يعقبها ندامة) كما يقول الحكماء.

في أحد الأيام قال لي المدير: خذ هذه الأوراق وأعطها المدرس الجديد، أخذت الأوراق وأوصلتها إلى المدرس الذي وصل يوم أمس حيث كنت أنا غائبا، أخذ المدرس الأوراق دون أن يرفع رأسه وقال بصوت الأمر المتبجح: هات شاي، لم يكن أمامي إلا أن أرضخ للأمر.

ضبطت الشاي وأتيت به وقلت له: هاك تفضل خذ الشاي، رفع هو رأسه ليأخذ كوب الشاي وتمنيت لو أن الأرض انشقت

وبلعتني، فقد كان المدرس الجديد هو جارنا القديم الذي كنا نوسعه سخرية واستهزاء، ونصمه بأقذع الألقاب مثل: المتخلف اللي ما يدري وين ربه حاشره، ثور الله في برسيمه، دودة الكتب....

* * *

تدبر إن أحببت: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴾
إلى قوله: ﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾^(١).

ه ه ه

(١) سورة المطففين، الآية ٢٩ - ٣٤.

الخؤون

يكبر الفرد وتكبر معه اهتماماته وتعظم مشاكله ويعتقد الأهل أن بالهم سيرتاح إذا كبر ابنهم؛ لأنه سوف يكون قادراً على العناية بنفسه والقيام بشؤون ذاته، والحقيقة أن قلق الآباء والأمهات يزداد باطراد مع تقدم الابن أو البنت في العمر، ويظنون يسألون الله ليل نهار أن يستر عليهم ويهدي أولادهم، وأن يعودوا إليهم سالمين غانمين لا أن يعودوا مكسرة عظامهم أو ملوثاً عرضهم أو أن الشرطة تسأل عنهم.

وقد سببت أنا شخصياً أذىً عظيماً لوالدي وللمجتمع، ولم أدرك ذلك إلا بعد أن أوشكت أن أكون أباً، فالتسكع في الشوارع والسهر إلى ساعة متأخرة خارج البيت وما يستتبع ذلك يسبب إيذاءً للوالدين وللمجتمع.

وهكذا كان، فقد كنت آخذ دروساً في الحب والعشق والغرام من الفضائيات وبنقاش الموضوع في المقهى، ويتم التطبيق في الشارع.

وتبدأ قصتي من هناك، فبعد عدة دورات من النوع السابق - الفضائيات السافلة، المقهى القذر، والشارع- ظننت أنني أتقنت اللعبة وأني أصبحت رجلاً لا بد له من أنثى، وهذا ما استفدته من تجمعنا في الشارع عند موقف باص البنات.

لم يكن يهمني في الفتاة جمالها أو دلالتها، ولم يخطر لي على بال رشاقتها أو تتاسق جسمها، أو حتى نوع لباسها ومدى عنايتها بذلك، كل همي كان هو مدى تحررها، ومدى انطلاء الخدع التفرزيونية عليها، ومدى تأثيرها بالأفكار التي تبثها النساء الساقطات والرجال الانتهازيون، فذلك النوع من الفتيات خفيفات الوزن والعقل يمكن خداعهن بسهولة، بكلمتين حلوتين أو بإظهار الإعجاب والثناء، وما أروع قول شوقي:

خدعوها بقولهم حسناء
والغواني يغرهن الثناء

ويمكن لكلمة مثل: يا حلو، يا جميل، يا مجني، يا مسهرني، يا معطشني... أن تفعل فعل السحر في الفتيات المسكينات، أما الغارقات في البلاهة فيمكن اصطيادهن بسهولة وإيهامهن بالعشق والهيام، ثم سلبهن أعز ما يملكن وهو شرفهن وكرامتهن، ثم القول لهن مثل ما قال الثعلب الخسيس للبلبل الصداح بعد أن خدعه وأخذ قطعة الجبن التي كانت في فيه: «غن لغيري فلا حاجة لي في غنائك».

وجدت ضالتي في واحدة من ذلك النوع، ورميت حبالها لها، لم تمض فترة طويلة حتى علقت بسنارتي، توثقت العلاقة بيننا وتعمقت بعد أن حصلت على رقمها واسمها التليفوني، كنت أتصل بهم عدة مرات في اليوم، فإذا رد عليّ أبوها أو أمها أو أحد أخوتها أقفلت الخط في وجوههم، أما إذا ردت هي فإن الاتصال يستمر لدقائق طويلة.

ذات يوم اتصلت بها واتفقنا على الخروج حيث إنني سوف أقدم لها مفاجأة، جاءت في الوقت المحدد حيث كنت أنتظرها في السيارة، وبعد بضع دقائق كنت معها في محل لبيع الخردوات.

أخذنا نقلب الدبل والخواتيم والسبح ونحن ندردش، وبين آونة وأخرى أطلق أنا نكتة سخيفة فتضحك هي بشكل هستيري.

اقترب منا البائع فامتقع لونها وارتبكت، حاولت أن تغطي وجهها ولكنها ترددت، مسكني البائع وقال:

هل ترضاه لأختك؟ قلت: لا.

قال: هل ترضاه لأمك؟ قلت: لا.

قال: هل ترضاه لابنتك؟ قلت: لا.

قال: وكذلك الناس لا يرضونه لأمهاتهم ولا لبناتهم ولا لأخواتهم، وتخيل ماذا سيكون موقفك لو أن أختك ضبطت مع رجل أجنبي.

توجه البائع بعد ذلك إلى الفتاة وقال: إن هذا الشخص لن يضره شيء من خروجك معه ولكنك أنت ستحملين العار والشنار، وسوف يشوه سمعتك ولن يتقدم للزواج منك بعد ذلك أحد.

خرجنا ولم ننبس ببنت شفة وقد عزمت على أن لا أعود لمثلها أبداً، ولما همت بالنزول من السيارة قالت: هل عرفت البائع؟ قلت: لا. قالت: إنه جارنا.. وافضيحتاه.



الدخول إلى عالم الكحول

كثيراً ما نلاحظ أن الإنسان يفعل الشيء ونقيضه، فكثيراً ما نرى أشخاصاً يبذرون على شهواتهم وملذاتهم ويسافرون إلى آخر الدنيا من أجل ذلك، ولكنهم ليسوا مستعدين أن يدفعوا قرشاً واحداً للفقراء والمساكين أو للمشاريع الخيرية، كما نلاحظ أن بعض الأفراد يصلون في الصفوف الأولى ولكنهم يدخلون ويشربون الخمر والعياذ بالله.

وربما كان للحادثة السابقة تأثير خطير على نفسي فأصبحت أنا أيضاً بحالتين متناقضتين؛ فبسبب الموعظة البليغة لبائع الخردوات قررت ألا أتحرش بفتاة أبداً؛ لأنني لا أرضى أن يتحرش أحد بأختي أو ابنتي أو أي فتاة أخرى من مجتمعي، ولكنني في الوقت نفسه اتجهت إلى الكحول والمخدرات، وربما كان ذلك بسبب سابقتي في التدخين والتردد على المقاهي.

فبعد أن هجرت الفتاة أصبت بحالة من الكآبة والترقب، الكآبة لتأنيب ضميري والترقب لما يمكن أن يقوم به البائع، خاصة وأنه يعرف الفتاة.

وظللت أفكر ليلاً ونهاراً، كيف يمكن لي ولأمثالي نقوم بذلك العمل الشنيع؟ كيف تسمح لنا ضمائرنا أن نغرر بفتاة بريئة لا حول لها و طول، ولا سابق تجربة لها ولا خبرة؟ وإلى أي درجة تصل بنا السفالة حيث نضحك على فتاة مسكينة ونسلبها أعز ما تملك، ثم نرمي بها مثل الجيفة إلى الكلاب المفترسة؟

إننا لن يضرنا شيء، لن يعيبنا ذلك الفعل الشنيع، لن تتمرغ سمعتنا في الوحل، ومتى ما قررنا التأهل فتصبح نعم الرجال وألف من تتمننا، وفي هذه الحالة نضرب بالفتيات اللواتي غررن بهن عرض الحائط، ويقع اختيارنا على الفتيات الشريفات العفيفات، أما أولئك الفتيات ذوات السمعة السيئة، فعليهن العوض، حيث لن يقبل بهن حتى الساقطين أمثالهن، وسوف يظللن يتنقلن من بؤرة إلى بؤرة حتى تذبل زهرة شبابهن.

وأنا في دوامة تلك الحالة، جاءني أحد من يسمون بالأصدقاء - وما أكثرهم في مثل هذه الحالات، ولكن إذا وقع الفأس في الرأس، فهم أندر من طائر البلشون - على كل حال جاءني ذلك الشخص وفي يده كيس ورق، فتحه وأخرج منه شيئاً مغطى بخرقة، قلت له: ما هذا؟

قال: هذه بُطل Bottle، نزع عنها الخرقة فإذا بزجاجة بداخلها سائل أصفر ذهبي اللون.

قلت له: ما هذا يا مدمور؟ قال: لا تعجل على رزقك، قم واجلب لنا كأسين، ولا تتسأن تضع بهما بعض الثلج، قمت وأتيت له بما طلب.

صب في كل من الكأسين قليلاً من تلك الزجاجاة، ناولني أحدهما وقال لي اشرب، قلت له: أشرب ماذا؟

قال: لا عليك، اشرب. قلت له مستغرياً: أشرب وبس. قال مستعظماً: نعم، اشرب وبس. قلت له: لازم الواحد يعرف إيش يشرب. قال: أنت الحين اشرب وبعدين سوف تعرف. قلت له: أنا لن أشرب شيئاً لا أعرف ما هو.

ولما لم يجد بداً قال: هذا ويسكي، هل ارتحت الآن، هيا اشرب.

قلت له مستنكراً: قلها بصراحة، يعني خمر. قال: اسمها ويسكي. قلت: لكن هذا حرام!

قال: الله غفور رحيم. ثم إننا سوف نتوب فيما بعد.

ألغيت عقلي وتفكيري بل وحتى ضميري، واتبعت هواي والشيطان وسابرتة وأخذت الجرعة الأولى رغم المغالطة الواضحة في مقولته.

فأولاً: قال: «إن الله غفور رحيم» وتناسى «إن الله شديد العقاب» خصوصاً لمن يرتكب المعاصي وهو يعلم بها.

ثانياً: قال: «إننا سوف نتوب فيما بعد» وفي هذه عدة مغالطات:

أ - ما يدريه أننا سوف نتوب؟

ب - متى سوف نتوب؟

ج - هل نضمن أعمارنا لكي نتوب؟

د - هل سوف يكون في إمكاننا أن نتوب؟

هـ - هل يضمن أننا لن نسير في الاتجاه المعاكس؟ بمعنى أننا سوف ندمن المسكرات مما سوف يضطرنا لطلب المزيد كما وكيفاً.

وتظل حالتنا تسير من سيئ إلى أسوأ إلى أن تصل بنا الحال أن نكون من مدمني المخدرات.

وهذا ما حصل بالفعل فقد كنت في البداية حراً في أن أشرب أو لا أشرب، وكنت متقززاً من ذلك الشراب في الجرعة الأولى، ولكن التقزز والتمنع بدأ يزول شيئاً فشيئاً مع الجرعات الثانية والثالثة وأصبح شيئاً عادياً مع الجرعة العاشرة، فكنت أشربه كما أشرب الماء.



خطوات الشيطان

تبدأ الشجرة نبتةً تافهةً يمكن للقبرة^(١) أن تلتهمها في قضمة واحدة، ولكنها بعد عدة سنوات تصبح دوحة عظيمة يمكن أن يبني عليها بيتاً فارهاً، وهكذا جميع الأمور تبدأ صغيرة تافهة ثم تكبر وتتجذر لتكون أموراً عظيمة أو عادات يصعب اقتلاعها، ومن الأمثلة التي يعرفها الجميع التدخين والكحول والمخدرات.

فالإنسان مثلاً يبدأ التدخين دون الحاجة إليه ولا يكثر له حصل أم لم يحصل، ولكنه بعد فترة من وقوعه في المصيدة يصبح يفضل الدخان على الأكل والشرب والصحة.

وهكذا بدأت أنا الكحول، الذي رغم اعتقادي ليس بحرمة فقط، بل بضرره الفادح على الفرد والمجتمع لما يسببه من حوادث ومشاكل بين المرء وزوجه.

(١) طائر ضئيل الجحم.

وأذكر بالمناسبة دليلاً واقعياً على ما أقول، ففي أحد مجالس البطالين، وبعد أن لعبت الخمرة برؤوس أفراد الشلة المنحطين، قام أحدهم ودخل إلى غرفة نوم صاحب البيت حيث كانت ترقد زوجته وهجم كالوحش الكاسر عليها، ولما امتعت عليه أوسعها لكماً وركلاً وهشم وجهها.

رغم معرفتي بكل ذلك لم أستطع التخلص منه، بل على العكس تماماً، فكل يوم يمر كنت أزداد بالمسكر شغفاً وتعلقاً، ولم تعد تهنيني الأصناف العادية منه.

وذات يوم جاء صاحبي فقصصت عليه القصة التالية:

يذكر أحد إخواننا المدمنين على المسكر أن أباه كان تقياً ورعاً، وكان يعرف أن ابنه مدمناً وقد نصحه عدة مرات فلم يجد معه النصح ووعظه فلم يتعظ، وفي أحد الأيام بينما كان الأب عائداً من عمله، رأى أحد المدمنين يسبح وسط بالوعة لجمع القاذورات، وقد أخذ يمسح جسده بالقاذورات وهو يضحك بلا شعور، وقد اجتمع الناس يتفرجون عليه.

خطرت للأب فكرة فقال في نفسه: «إن بني إذا رأى هذا المنظر المفجع، سوف يكون واعظاً عملياً له وحتماً سيقلع عن شرب الخمر.»

ذهب الأب مسرعاً إلى بيته، وأمسك ولده من يده وأتى به حيث لا يزال المدمن يستحم وقال: انظريا بني ماذا تفعل الخمرة بمن يشربها، هذا الإنسان العظيم المحترم، كيف يرضى لنفسه أن ينزل إلى هذا المستوى من القذارة والدناءة والمهانة، أترى لو كان هذا الرجل في وعيه هل كان يرضى أن يكون في هذا الوضع المقرز الذي لا يرضاه حتى الكلب لنفسه؟!

استغرق الابن في تفكير عميق، فقال له أبوه: أرجو يا بني أن تكون قد اقتنعت وعزمت على ترك الخمر، فقال: نعم، نعم، إنني أفكر من أين حصل هذا على هذا النوع الجيد من الخمر.

أصغى صاحبي إليّ بانتباه زائد ولم ينبس ببنت شفة حتى انتهيت من سرد القصة قال: ماذا تقصد من إيرادك تلك القصة؟ هل تقصد أن نتوب ونترك الخمر؟ لقد حاولت يا أخي عدة مرات ولكنني فشلت، لقد نزلت بي عدة مصائب ومشاكل بسبب الخمرة، حاولت على أثرها أن أتركها، لكنني ما تمكنت.

قلت له: وأنا كذلك يا صاحبي، فنحن مثل ذلك الذي وقع في البالوعة، وقد أوردت تلك القصة لأقول لك أن الأنواع المعروفة من الويسكي والفودكا والعرق لم تعد تطربنا، فايحث لنا عن أنواع أخرى أقوى أو أعتق.

فقال صاحبي: نعم الآن فهمت قصدك، هناك أنواع أقوى وأعتق
بكثير ولكنها ليست للفقراء المساكين من أمثالنا، لأنها غالية
الثمن، ولكن «من يخطب الحساء لم يغلّه المهر»، فهناك نوع
مختلف تماماً عن الأنواع التي نعرفها، نوع سينسيك الدنيا وما
فيها، نوع سوف يخلق بك في عالم الخيال.



على شفير الهاوية

إن الخطوة الأولى في أي عمل هي أهم الخطوات، ولهذا أنصح إخواني الشباب نصيحة مجرب ألا يقدموا على الأعمال الخبيثة مثل التدخين والخمر والمخدرات، ولا يندعوا بأقوال شياطين الإنس والجن واتباع خطواتهم.

وهكذا هو حالنا كما هو ملاحظ، وخير دليل على ذلك هو الطريق الذي سلكته خطوة خطوة وصولاً إلى المخدرات، فالخطوة الأولى على ذلك الطريق المؤدي إلى الدمار والشقاء هي الجهل والغرور، فالتدخين ثم الكحول وأخيراً المخدرات.

وهذا ما قصده صاحبي عندما قال: إنه سيعطيني نوعاً ينسيني الدنيا وما فيها، وهذا جعلني أتذكر عشرات القصص لعشرات الأفراد الذين دمرت المخدرات حياتهم، وأنزلتهم من قمة النجاح والسمو إلى درك الضياع والمهانة.

تذكرت قصة ذلك الشاب الذي كان يعمل في شركة إنتاجية مرموقة، وكان ناجحاً بكل المقاييس فقد كان يحتل مركزاً متقدماً، وكان يملك بيتاً فخماً، وكان أباً لأسرة تتعم بالسعادة والهناء.

ولما أدمن على المخدرات انقلب حاله رأساً على عقب، فبسبب غيابه المتكرر عن العمل، أو وصوله متأخراً في أكثر الأحيان، وحتى إذا كان على رأس العمل فوجوده وعدم وجوده سيان، فهو حامل كسول، فاتر الأعضاء، مشتت الذهن، فصل عن عمله، ويبيع منزله لكي تستوف الشركة حقها.

أنفق باقي المبلغ على المخدرات، وبذلك أصبح لا عملاً يقيمه ولا مالاً يقات منه، وأمسى عالة على المجتمع يتكفف الناس لكي يأكل، ويعتدي على ممتلكاتهم لكي يوفر لنفسه المادة المخدرة.

طلقت منه زوجته التي كانت ملء السمع والبصر، وتيتم وهو حي أبنائه وذاقوا الأمرين من الذل والمهانة ومن ضياعهم في الشوارع.

وتذكرت شخصاً آخر كان حاله مشابهاً لحال السابق لما أفلس من كل شيء تحول إلى وحش كاسر يوسع زوجته وأولاده ضرباً حتى يدمي أجسادهم لكي يأتوا له بالمال من أي طريق كان ليشتري به المخدرات.

وتذكرت شخصاً ثالثاً كان يملك بالإضافة إلى عمله وذكائه وصحته مالاً وعقاراً ، وخلال سنوات قليلة بعد إدمانه المخدرات باع كل شيء ، حتى وصل به الحال في نهاية المطاف أن يأمر زوجته أن تتبع شرفها.

تذكرت كل ذلك وأكثر من ذلك ، ولكنني خادعت نفسي وقلت لها إنني أختلف عن أولئك ، إنهم أغبياء وأنا ذكي ، إنهم ذوو إرادة ضعيفة وأنا ذو إرادة حديدية ، إنني سأجربها وسوف أقلع عنها متى ما شئت ، وهكذا يستدرج الشيطان الإنسان حتى إذا وقع الإنسان في الشرك صعب عليه التخلص منه.

بينما كنت غارقاً في تفكيري أمني نفسي بليلة في غاية النشوة والاستيناس ، وإذا بالباب تطرق ، فتحت الباب مسرعاً معتقداً أن الطارق هو صاحبي.

لقد خاب هذه المرة ظني ، لم يكن الطارق صاحبي ولكنها شرطة مكافحة المخدرات.



obeikandi.com

القرار الخطير

كان مجيء الشرطة في ذلك الوقت بالذات من جود الله ورأفته بي وحبه لي، ومن تخطيطه جل شأنه في إنقاذ المجرمين من مثلي وأمثالي.

فلو وصلت الشرطة قبل ذلك الوقت لوجدوا عندي ٣ - ٥ قنينات (بُطُل)، ولكن في ذلك الوقت كان البيت نظيفاً، ولو وصل صاحبي قبل الشرطة لانقلب حالي رأساً على عقب، ولكنها رحمة الله التي أنقذتني من الوقوع في براثن المخدرات، ذلك أولاً وثانياً هي المصائب التي حلت بي تباعاً بعد ذلك.

خرج الشرطة من البيت بعد أن أبلغوني أن صاحبي أعطاهم معلومات خاطئة عني وأنهم ليس لديهم شيء عني إضافة أنه ليس لدي سوابق، وأوصوني أن أبتعد عن مثل هؤلاء الأشخاص وألا أنخدع بتعاطي الخمر والمخدرات، وأخبرني أحدهم أنهم ليلة أول أمس تلقوا مكالمة من أحد المنازل أن هناك حركة غريبة في المنزل المجاور، ذهبت فرقة إلى المنزل المعين واضطرت

إلى كسر الباب، وذلك لأنه لم يستجب أحد في المنزل لنداءات الشرطة المتكررة، ولما دخلت الشرطة البيت وجدوا به شاباً ميتاً وقد غرزت حقنة مخدر في مرفقه.

خرجت من البيت هائماً على وجهي لا أدري أين أتجه، مر برأسي شريط الذكريات المؤلم منذ بدأت أعي الحياة وخصوصاً اليومين الأخيرين.

فها قد سمعت عن موت مشعان بحقنة مخدر، وبالأمس توفي صنبور بسبب السرطان لأنه كان محرقة دخان، وعلمت أن صاحبي قد ألقى القبض عليه وسجن، وأظن أنه لن ينجُ من الإعدام لاتجاره في المخدرات وبثه سمومها في المجتمع.

قفزت إلى السيارة وانطلقت إلى ميدان التفحيط عشقت السيارة في الثاني، ولمست البنزين إلى أقصى حد تصل إليه الدواسة، أطلقت الكلتش فأصدرت عجلات السيارة المسكينة صوتاً يشبه زئير الأسد بل قل مثل أزيز طائرة نفاثة كتمت أنفاس محركاتها، خمست والسيارة المسكينة في تلك الحالة المهلكة كونت خمستين، ثلاث خمسات، ثم اختلف الحسابون في حساب الخمسات والتممينات والانحناءات والتعرجات يا له من جنون حقاً، يضيع الجهد والمال والممتلكات وربما ضيع الأرواح أيضاً، وبعد فوات الأوان ضربني العجب وتساءلت: لماذا نعذب ونتلف وسيلة النقل الجميلة بمثل تلك الحركات العبثية التي تضر ولا تنفع؟!

بعد ذلك انطلقت بالسيارة لا ألوي على شيء وكأنني هارب من شبح يطاردني، وهل يمكن الهروب من شبح؟ إن الشيء العقلاني في مثل حالتي أن يختلي الإنسان بنفسه ويعيد شريط حياته، يستعرض ماذا عمل في الأيام الماضية؟ وماذا أنجز في السنوات الخالية؟ ويضع لنفسه برنامجاً لما يحب إنجازه في المستقبل، وهدفاً سامياً يحب أن يصل إليه، وينظر من أي باب يأتيه الخير فيفتحه، ومن أي نافذة يأتيه الشر فيغلقها؟

ولكن الشيء الذي نعمله أنا وأمثالي من البلاء هو العكس تماماً، ففي مثل حالتي بعد أن رأيت أن التفحيط لا يسري عني، انطلقت بسرعة جنونية حتى صرت على الطريق الرئيسية التي تصل القرية بالمدينة، تعديت الإشارة الضوئية الأولى ثم الثانية ولم يكن اللون الأخضر أو الأصفر أو حتى الأحمر يعني لي شيئاً، بعد ذلك كل ما أعلمه أنني كنت مقبلاً على الإشارة الثالثة.

فتحت عيني بعد ثلاثة عشر يوماً من ذلك لأجد كل شيء حولي يزهو باللون الأبيض، الغرفة بيضاء، السرير أبيض، وقد قامت بجانبه فتاة كسيت من قمة رأسها إلى أخمص قدميها بالأبيض، ظننت نفسي في الجنة، ولكن أتى لأمثالي -إذا استمررت على ما أنا عليه- بجنة.

أغمضت عيني للحظات لأتأكد هل أنا في حلم أو في علم، فتحتها ثانية لأجد حبابي الحقيقيين وقد أحاطوا بالسرير

الأبيض، وفي لحظة الصفر قالوا بصوت واحد: الحمد لله على السلامة، لقد نجاك الله من ذلك الحادث المروع بأعجوبة.

نظرت إلى وجوههم التي تفيض نوراً وبشراً وحناناً، ثم حولت نظري إلى يدي ورجلي وقد صب عليها الجبس وعلقت في أطراف السرير إلى أعلى.

حمدت الله على ذلك وقررت أن أكون إنساناً مختلفاً، إنساناً مطيعاً لأوامر الله سبحانه وتعالى مجتنباً معاصيه، وندمت ندماً شديداً على الأذى الذي سببته لأحبابي، وقررت ألا أوذى أحداً أبداً حتى أعدائي.

لقد وفيت بقراري، وها أنا ذا بين يديك،

فهل تقي أنت؟

إذن سلام من الله عليك



الفهرس

٥	الإهداء.....
٧	التيه.....
١١	الملابس.....
١٥	التدخين.....
١٩	الماطور.....
٢٣	الشمه.....
٢٧	المقهى.....
٣١	الخؤون.....
٣٥	الدخول إلى عالم الكحول.....
٣٩	خطوات الشيطان.....
٤٣	على شفير الهاوية.....
٤٧	القرار الخطير.....
٥١	الفهرس.....

obeikandi.com